# مَنْ هيَ؟

مَن هي سارة؟

مَن هي الفتاة التي مشينا معها هذا الشوط ولا نعرفها، والتي رأينا منها خطوطًا ولم نرَ منها صورة، والتي قرأنا عنها كلمات كثيرة ولكنها كلمات بينها كثير من الفواصل، وحروفًا كثيرة ولكنها يعوزها كثير من الإعجام؟

هي شيء يُعرَف ولا يُعرَف …

أنتكلم بلسان الصوفية؟ كلا، بل بلسان العُرف المقرر والمشاهدات اليومية، فإن سارة بنت من بنات الواقع الحي الملموس … وبنات الواقع هن اللواتي نعرفهن جيدًا ولا نعرفهن جيدًا، ولو كانت من بنات الخيال لما بقي منها شيء مجهول.

وليس بالنافع أن نصفها كما كان يراها همام في أيام صفوه وهيامه، أو نصفها كما كان يراها في أيام نفوره واشمئزازه، أو نصفها كما كان يراها وهو على القرب سائم، أو كما يراها وهو على البعد مشوق، ولكننا قد نصفها مزيجًا من جميع هؤلاء فنخلص من وصفها إلى صورة تشبه «سارة» التي خلقها الله، وتشبه سارة التي يذكرها همام بعد زوال الغاشية وانقضاء السنوات.

هي جميلة؛ جميلة لا مراء، ليست أجمل مَن رأى همام في حياته ولا أجمل مَن رأى في أيام فتنته وشغفه، ولكنها جميلة جمالًا لا يختلط بغيره في ملامح النساء، فلو عمدتَ إلى ترتيب ألف امرأة هي منهن لنظمتهن واحدة بعد واحدة في مراتب الجمال المألوف، ونحيَّت سارة عن الصف وحدها … وإن كنت لا تنكر — ولا تبالي أن تنكر — أنها تأتي بعد مئات.

لونها كلون الشهد المُصفَّى، يأخذ من محاسن الألوان البيضاء والسمراء والحمراء والصفراء في مسحةٍ واحدةٍ.